ميادين الفلسفة: رأينا عند حديثنا عن خصائص الموقف الفلسفي، أن هذا الموقف يتميز بصفة الشمولية والعمومية، بمعنى أن المواضيع التي يطرقها الفيلسوف تتميز بالاتساع، لذلك فإن الميادين التي طرقتها الفلسفة عبر تاريخها كثيرة ومختلفة، لكن دأب مؤرخو الفلسفة على تحديد ثلاثة ميادين أساسية لأي بحث فلسفي.

1- الانطولوجيا anthologie: يعد هذا المبحث من أهم مباحث الفلسفة ويختص بـ " البحث في الوجود بما هو موجود،أي بغض النظر عن خصائصه الجزئية أو مظاهره الحسية... الوجود المجرد... الوجود بغض النظر عم يتمثل فيه من الموجودات"[61]، وبالتالي فإن هذا المبحث يختص بالبحث في طبيعة الوجود وأصله ونشأته من المباحث الفلسفية الأصلية، بل إنه أقدم المباحث التي توجهت إليها أنظار وعقول فلاسفة اليونان القدماء.

2- الإبستيمولوجيا épistémologie: الإبستيمولوجيا كلمة يونانية مكونة من مقطعين épistème وتعني معرفة، وlogos وتعني علم، ويشير هذا المصطلح إلى ذلك الفرع الفلسفي الذي يبحث في طبيعة المعرفة وأصلها وبنيتها وقيمتها وحدودها، ويعد فرييه ferrière أول من استعمل هذا المصطلح حسب ما أورده الأستاذ "مراد وهبه" في معجمه الفلسفي، وذلك في كتابه institutes of métaphysiques والذي ميز فيه بين فرعين من فروع الفلسفة، وهما الابستيمولوجيا والانطولوجيا[62].

وينبغي أن ننبه إلى أمر هام وهو أن هناك من يميز بين مصطلحي نظرية المعرفة والإبستيمولوجيا، فالفرنسيون يوسعون من مجال نظرية المعرفة théorie du la connaissance لتشمل مختلف المعارف العقلية النقلية وغيرها، ويقصرون الابستيمولوجيا على المعرفة العلمية، فالإبستيمولوجيا عندهم تعني تحديدا " الدرس النقدي لمبادئ مختلف العلوم وفرضياتها ونتائجها، الرامي إلى تحديد أصلها المنطقي، قيمتها ومداها الموضوعي "[63]. بينما تستعمل اللغة الإنجليزية بمعنى واحد.

مبحث القيم Axiologie: الأكسيولوجيا لفظ يوناني نكون من مقطعين Axio بمعنى قيمة وLogos بمعنى علم أو نظرية، ويختص مبحث القيم بالبحث في طبيعة القيم وماهيتها وأنواعها وتتمثل هذه القيم في ما يلي:

- قيم الخير ويدرسها فلسفة الأخلاق.
- قيم الحق ويدرسها المنطق.

– قيم الجمال وهو مجال دراسة فلسفة وعلم وجمال.

لكن يجب الإشارة إلى أن هذه المباحث الثلاثة لا تستنفذ كل المواضيع الفلسفية، بل أن هناك فروع كثيرة ظهرت على الساحة الفلسفية،مثل فلسفة التربية وفلسفة الدين وفلسفة القانون وغيرها، كما أن التحولات السياسية والاقتصادية والثقافية التي شهدها العالم فتحت أفاقا جديدة للبحث الفلسفي، فلم يعد بإمكان الفلاسفة إغماض أعينهم عن كثير من الظواهر والإشكاليات المستجدة كالعولمة وصراع الحضارات ونهاية التاريخ والديمقراطية .....إلخ

الفلسفة والعلم: أدى التقدم العلمي الكبير الذي عرفته الإنسانية في العصر الحديث إلى انبهار الناس بذلك،حتى اعتقدوا أن العلم قادر وحده على حل جميع مشكلات الإنسان، وأدى –من جهة أخرى– إلى تكوين نظرة استخفافية بالفلسفة نظرا لعجزها عن إحراز نفس التقدم رغم تاريخها الطويل.

تعد إشكالية العلاقة بين الفلسفة والعلم من الإشكاليات التي تثير الكثير من الاختلاف والتباين بين من يرى أن العلاقة بينهما هي علاقة تطابق، وبين من يرى أن تلك علاقة يطبعها التنافر والانقطاع، وبين من يرى أن العلاقة التي يجب أن تقوم بينهما هي علاقة تعاون وتكامل.

فعند الحديث عن علاقة الفلسفة بالعلم تتبادر إلى أذهاننا كثير من الأسئلة من قبيل:

– ما طبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلم ؟
– هل مازالت الفلسفة تعد أما للعلوم ؟
– هل يمكن للعلم أن يستغني عن الفلسفة ؟
– هل انتهى دور الفلسفة نتيجة للتقدم العلمي والتقني الهائل الذي تشهده البشرية اليوم ؟
– هل يمكن أن تتحول الفلسفة إلى علم ؟
– ماذا يمكن أن يقدم العلم الحديث للفلسفة، وماذا يمكن أن تقدم الفلسفة للعلم؟
– ما علاقة الفلسفة بالعلوم الطبيعية والصورية ؟
– وما علاقتها بالعلوم الاجتماعية والإنسانية ؟

أسئلة كثيرة ومتشعبة أسالت حبرا كثيرا، لكن لا يمكن الجزم بأننا قد حصلنا على إجابات محددة لها، وكل ما تحصلنا عليه هو وجهات نظر مختلفة ومتباينة زادت الأمور تعقيدا.

تعود جذور العلاقة بين الفلسفة والعلم إلى زمن بعيد، وتحديدا إلى عهد الحضارة اليونانية القديمة، حيث لم يكن اليونان يميزون بين العلم والفلسفة، بل كانت الفلسفة عندهم أما لجميع العلوم والمعارف، حتى أن أرسطو رأى أن "أسمى غاية للعلم لهي المعرفة الفلسفية ".(64)

لذلك كانت أفكارهم السياسية ونظرياتهم الاجتماعية والعلمية وثيقة الصلة بآرائهم الفلسفية، لأنهم كانوا يعدون النظر الفلسفي أسمى غاية يمكن أن يسعى إليها الإنسان فـ "المعرفة والنظر الفلسفي هما المهمتان الحقيقيتان للنفس، إنما لأجدر الأشياء جميعا باختيارنا نحن البشر".[65]

ومن هذا المنطلق كان الفلاسفة الطبيعيون الأوائل، مثل طاليس، فلاسفة وعلماء في آن واحد، كما أن فيثاغورس كان فيلسوفا ورياضيا في الوقت نفسه .

بقيت علاقة الفلسفة بالعلم قائمة في فترة العصور الوسطى، والتي تبدأ تقريبا من القرن الخامس وتنتهي في القرن الرابع عشر الميلادي، غير أن الشيء الملاحظ هو سيطرة الفكر اللاهوتي والكنسي، وهو ما أدى إلى توظيف الفلسفة، وخاصة فلسفة أرسطو ومنطقه، في خدمة أغراض ذلك الفكر، مما أدى إلى شل حركة العلم بصفة تامة.

في نفس تلك الفترة الزمنية ازدهر التفكير الفلسفي والعلمي عند المسلمين الذين نبغوا في شتى أنواع المعرفة كالطبيعة والكيمياء والطب والفلك والرياضيات ...، وأحسن مثال على ذلك ابن سينا الذي جمع بين الفلسفة والعلم بشكل مميز.

لذلك، فعندما نتحدث عن العصور الوسطى يجب أن نفرق بين عصور وسطى أوروبية طغى عليها الجهل والاستبداد ومحاربة العلم واضطهاد العلماء، وعصور وسطى إسلامية ازدهر في ظلها العلم وتبوأ فيها العلماء منزلة رفيعة، خاصة في ظل الخلافة العباسية .

أما في العصر الحديث فقد تأثرت الفلسفة بنتائج العلم الحديث، فأصبح الفلاسفة ملزمون بمراعاة مستجدات العلم والمنهج التجريبي " فلا شك أن الروح الدافقة للعلم الحديث الذي استقل وتنامى وتصاعد وتعاظم أمره قد انعكست في كل خلجة من خلجات الفلسفة الحديثة ".[66]

وانطلاقا من ذلك شبه ديكارت الفلسفة بالشجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الطبيعيات، وأعضاؤها بقية العلوم الأخرى.

وبالتالي، تغيرت العلاقة بين الفلسفة والعلم في الفترة الحديثة، فبعدما كانت الفلسفة تسبق العلم عند اليونان،أصبح العلم هو الذي يسبق الفلسفة، كما شهدت هذه الفترة حركة انفصال عدد من العلوم عن الفلسفة، فكانت البداية بانفصال الفيزياء والكيمياء وعلم الفلك ثم تلتها العلوم الاجتماعية والإنسانية.

وبعد زمن طويل من النزاع بين العلم والفلسفة، بدأ الوفاق يعود بينهما في الفترة المعاصرة، بعدما تأكد الفلاسفة والعلماء على حد سواء أن الإنفصال التام بينهما يضر بهما معا، وفي هذا الصدد أكد غاستون باشلار على ضرورة الربط بين العلم والفلسفة " إذ لا يحق للفيلسوف أن ينفصل عن أرض التجارب العلمية أثناء تفلسفه، وأنه يجب أن يأخذ العلماء في اعتبارهم مذاهب الفلاسفة ومجهوداتهم".[67]

وبناء على ذلك، فان الانفصال المزعوم بين الفلسفة والعلم يعبر عن نظرة حاضرة لدى بعض الذين طغت عليهم النزعة العلمية المتطرفة، فيجب أن يكون هناك تعاون وتكامل بين الفلسفة والعلم، لأن هدفهما واحد وهو فهم الكون بمختلف مظاهره، فالعلم لا يستطيع أن يستغني عن التأملات والتساؤلات الفلسفية،كما أن الفلسفة لا تستطيع أن تتخلى عن نتائج العلم وتحليلاته.